عماد عنان | نشر في ٧ فبراير ٢٠١٩,

بعد تهميش الحكومة: هل تستعيد طالبان أفغانستان بعد 17 عامًا من الصراع؟

في خطابه عن حالة الاتحاد الذي ألقاه أمس بالكونغرس أكد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وجود محادثات وصفها بـ"البناءة" مع حركة طالبان تستهدف تخفيف حدة توتر النزاع في أفغانستان بعد 17 عامًا من العداء والخصومة، هذا في الوقت الذي تواصل فيه الحركة مباحثاتها مع مختلف الأطياف السياسية داخل البلاد وخارجها.

فبعد مباحثات الدوحة التي استمرت قرابة 6 أيام بدأت في الـ20 من يناير الماضي بين المبعوث الأمريكي الخاص لأفغانستان زلماي خليل زاد، وأعضاء المكتب السياسي لطالبان بقطر، التي أسفرت عن توقيع مسودة اتفاق سلام أولية تنص على انسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان في غضون 18 شهرًا من توقيع الاتفاق ها هي الحركة تجري جولة أخرى من المفاوضات في موسكو.

المؤتمر الذي عقد على مدار اليومين الماضيين شارك فيه وفد من الحركة وسياسيين أفغان أكد أن الحل الوحيد للمعضلة الأفغانية هو الحوار بين أطياف هذا البلد، معلنًا تأييده لاجتماعات الدوحة الأخيرة ومعتبرًا خروج القوات الأجنبية من أفغانستان خطوة مهمة لحلّ الأزمة.

جولات المفاوضات المباشرة للحركة ما بين موسكو والدوحة مع أطياف وقوى داخلية وخارجية في ظل تهميش واضح لحكومة كابول أعاد طالبان للمشهد السياسي من باب الكبار، لتفرض نفسها كضلع أساسي في تحديد ملامح مستقبل أفغانستان، وفي ظل مساعي واشنطن لخروج آمن يحفظ لها كبريائها يبقى السؤال مطروحًا: هل تستعد طالبان لاستعادة السيطرة على الدولة الأفغانية مرة أخرى بعد حرب الـ17 عامًا؟

من الدوحة إلى موسكو

بعد أقل من عشرة أيام على مباحثات الدوحة التي تعتبر الانطلاقة الحقيقية الأولى نحو تحريك المياه الراكدة في المشهد الأفغاني والقاعدة الأساسية لانطلاق العديد من الجولات القادمة التي تهدف إلى وضع اللبنات الأولى لتدشين عملية المصالحة السياسية داخل البلد الذي يعاني من النزاعات والحروب طيلة العقود الماضية، توجهت طالبان إلى جولة جديدة من المباحثات.

المؤتمر الذي عقد في موسكو على مدار يومي 5 و6 من فبراير الحاليّ بمبادرة من الجالية الأفغانية في روسيا، ويضم أعضاء الجاليات الأفغانية في إيران وباكستان ورابطة الدول المستقلة، إلى جانب سياسيين وناشطين من أفغانستان، شدد في بيانه الختامي على "ضرورة مواصلة هذه السلسلة من الاجتماعات لإنجاح عملية المصالحة"، واتفاقهم على أن تعقد الجلسة المقبلة من هذه السلسلة في العاصمة القطرية قريبًا".

وتعد تلك المباحثات هي الأعلى مستوى التي تجريها طالبان مع سياسيين أفغان منذ سنوات، حيث اتّفق المشاركون على انسحاب كل القوات الأجنبية من أفغانستان بشكل كامل، فيما أشار رئيس وفد الحركة في المؤتمر، شير محمد عباس ستانيكزاي إلى أن الانسحاب "لم يحدد موعده بعد، لكننا نتفاوض بشأنه".

المشاركون في المؤتمر طلبوا من جميع أطراف الصراع الإفراج عن المعتقلين كبار السن أو الذين يعانون من أمراض معدية، وأولئك الذين أكملوا فترة سجنهم، علاوة على مطالبتهم الأمم المتحدة شطب أسماء قيادات "طالبان" من القائمة السوداء، والاعتراف بالمكتب السياسي للحركة في الدوحة، وهي خطوات اعتبرها المشاركون "ضرورية لعملية الصلح، وتفتح المجال لنجاحها".

مؤتمر موسكو للمصالحة الأفغانية

ضربة لحكومة كابول

هذه هي المرة الثانية التي تعقد فيها طالبان مباحثات مع قوى سياسية أفغانية بشأن مستقبل عملية المصالحة دون مشاركة الحكومة أو الرئيس أشرف غني، الأمر الذي دفع الأخير إلى التعبير عن إحباطه من تهمشيه فيما يتشارك أعداؤه السياسيون في الصلاة والمآدب مع طالبان وهم يناقشون مستقبل بلاده.

غني في تصريحاته لإذاعة "طلوع نيوز" الأفغانية مساء أول أمس الثلاثاء، أن الاجتماع في روسيا "لا يعدو كونه مجرد وهم، لا يمكن لأحد أن يقرر دون موافقة الشعب الأفغاني"، الأمر الذي اعتبرته الحركة ضربة جديدة لكابول بعد الحوار المباشر الذي أجرته مع مسؤولين أمريكيين في الدوحة.

الحركة تعتبر أن ما حدث يعد انتصارًا كبيرًا لإستراتيجيتها طيلة السنوات الأخيرة، وبفضلها استطاعت إجبار المحتلين للجلوس إلى طاولة الحوار معها، بدلاً من الاستمرار في الخيار العسكري، كما استطاعت أن تقنع السياسيين الأفغان كي يصغوا لموقف الحركة ويقبلوه كحلٍ شامل للمعضلة.

وفي مقالين نشرتهم طالبان عبر موقعها الرسمي، أحدهما تحت عنوان ""فضيحة الحكومة الأفغانية الأخرى" والآخر "من هو عدو المصالحة؟"، كشفت أن نجاح المسار التفاوضي مع قوى سياسية داخلية وممثلي الإدارة الأمريكية يعكس رغبة 98% من الشعب الأفغاني المؤيد للخيار السياسي في محاولة لإنهاء الحروب والنزاعات المسلحة التي خلفت وراءها العديد من الخسائر على المستويات كافة لمختلف أطراف الصراع.

وأضافت أنه عندما حسمت القوات الأجنبية أمرها للخروج من أفغانستان، بدأ الرئيس الأفغاني يضرب طبول الحرب، ويرفع هتافات تشجع الحرب، بينما الشعب برمته رحب بمؤتمر موسكو، ودعا بأشكال مختلفة إلى مواصلة مثل هذه الأنشطة، بهدف إيجاد حلول سلمية للمعضلة الأفغانية، ووضع حدٍ لحمام الدم في البلاد".

عملية المفاوضات الأمريكية مع طالبان بدأت مع مرحلة الرئيس باراك أوباما، الذي لجأ إلى إرسال 30 ألف جندي أمريكي إضافي لأفغانستان في 2010 في محاولة للضغط على الحركة لتقديم تنازلات

لماذا تتفاوض أمريكا مع طالبان؟

في يناير الماضي نشرت مجلة "فوربس" الأمريكية تقريرًا قالت فيه إن الحرب في أفغانستان كلفت الولايات المتحدة حتى الآن نحو تريليون و70 مليار دولار، إضافة إلى مقتل أكثر من 2400 جندي أمريكي وإصابة عشرات الآلاف بجراح وتشوهات وإعاقات دائمة.

التقرير أشار إلى أنه رغم كل هذه الضريبة التي دفعتها واشنطن، فإنها فشلت في القضاء على طالبان الأمر الذي دفعها إلى إعادة النظر في إستراتيجية الحرب هناك، لتدخل في مرحلة مفاوضات مباشرة معها بهدف التوصل إلى تفاهم ما يمكنها من وضع حد لهذا النزيف المالي والبشري المستمر ومغادرة هذا المستنقع خوفًا من تكرار سيناريو فيتنام مرة أخرى.

وقد نجحت الحركة في الاحتفاظ بصمودها وقوتها أمام القوات الأمريكية وحلف شمال الأطلسي رغم وصول عدد جنودهما إلى قرابة 140 ألف جندي مدعومين بأحدث الأسلحة، وفرضت نفسها كقوة مؤثرة في المشهد فاقت في كثير من مراحل الصراع الحكومة الأفغانية نفسها، بحسب المجلة.

وأمام هذا الفشل المعزز بالخسائر المتلاحقة اضطرت واشنطن إلى تخفيض عدد قواتها في أفغانستان حتى وصل إلى 14 ألف جندي فقط في الوقت الحاليّ، يقتصر دورها على التوجيه والتدريب غالبًا، بينما تتولى القوات الأفغانية تنفيذ معظم المهام القتالية، هذا في الوقت الذي تتهم فيه أمريكا روسيا بدعم الحركة وإستراتيجيتها في مواجهة القوات الأجنبية الموجودة بالدولة.

العديد من المشاهد غير المألوفة شهدها مؤتمر موسكو الأخير تميط اللثام عن إستراتيجية جديدة للحركة في رسم صورة مغايرة تمامًا لما كانت عليه إبان فترة حكمها

عملية المفاوضات الأمريكية مع طالبان بدأت مع مرحلة الرئيس باراك أوباما، الذي لجأ إلى إرسال 30 ألف جندي أمريكي إضافي لأفغانستان في 2010 في محاولة للضغط على الحركة لتقديم تنازلات، لكن

من الواضح أن تلك الخطوة لم تحقق الهدف المطلوب منها ما دفعه لسحب تلك القوات مرة أخرى في 2014.

وأمام شعار "أمريكا أولاً" يسعى ترامب إلى تجييش جهود حكومته وميزانية دولته لخدمة شعبه وفقط، وذلك عبر تقليل النفقات الخارجية، غير أنه في الوقت ذاته لا يريد خروجًا يحمل طعم الهزيمة تجنبًا لسيناريوهات قديمة لا تزال عالقة في ذاكرة الشعب الأمريكي، لذا كان اختيار طالبان كرهان يسعى من خلاله إلى خروج آمن مع الحفاظ على صورة أمريكا دوليًا، اعترافًا بثقل الحركة وقدرتها على التأثير في المشهد مع التعهد بعدم شن هجمات من داخل الدولة الأفغانية ضد الأمريكان ومصالحهم في المنطقة.

طالبان تأمل في دور سياسي في المستقبل

طالبان تعود للمشهد

تصريح ترامب بأن القوات الأمريكية ستنسحب من أفغانستان بعد الاتفاق مع طالبان حتى وإن لم يعط جدولاً زمنيًا لهذا القرار فإنه تعبيد صريح لدور مستقبلي للحركة في إدارة المشهد الأفغاني، عززه ما صرح به الجنرال جوزف فوتيل رئيس القيادة المركزية الأمريكية أمام الكونغرس الأمريكي بأنه "في النهاية نريد أن نصل إلى حوار بين طالبان وأفغانستان.. فهم وحدهم القادرون على حل مسائل أساسية في الخلاف".

ما أثير بشأن سحب نصف عدد القوات الأمريكية (7 آلاف جندي) بحلول أبريل القادم، مع الحديث عن دور أمريكي في تحديد ملامح مستقبل أفغانستان بالتنسيق مع طالبان في ظل تجاهل تام وصريح لحكومة غني، في الوقت الذي تسعى فيه الحركة إلى تجميل صورتها محليًا ودوليًا يكشف بعض ملامح المرحلة المقبلة.

العديد من المشاهد غير المألوفة شهدها مؤتمر موسكو الأخير تميط اللثام عن إستراتيجية جديدة للحركة في رسم صورة مغايرة تمامًا لما كانت عليه إبان فترة حكمها، على رأسها جلوس رئيس وفد طالبان جنبًا إلى جنب مع سياسيين معارضين للحركة، في مقدمتهم حميد كرزاي، الذي نصّبته الولايات

المتحدة رئيسًا لأفغانستان بين 2001 و2014، وهو الرئيس الذي كان يصفه قادة طالبان دومًا بأنه دمية الغرب.

مسؤولو طالبان تعهدوا كذلك بوقف زراعة الخشخاش في أفغانستان واتخاذ خطوات لمنع سقوط ضحايا من المدنيين في النزاع

كذلك استماع مسؤولو الحركة لنساء تحدثن في المؤتمر، وهو الأمر الذي لم يكن يمكن تصوره إبان حكم طالبان الذي أطاحت به القوات التي تقودها الولايات المتحدة في 2001، حيث تمت دعوة امرأتين أفغانيتين لحضور الاجتماع، ورغم انتقادهما لسياسات طالبان القديمة، فإنها تعهدت بإعادة النظر في كثير من المواقف السابقة.

مسؤولو طالبان تعهدوا كذلك بوقف زراعة الخشخاش في أفغانستان واتخاذ خطوات لمنع سقوط ضحايا من المدنيين في النزاع الذي أوقع عشرات آلاف القتلى والجرحى، كما وعدوا بعدم السعي للاستئثار بالسلطة وإقامة "نظام إسلامي شامل" للحكم في أفغانستان، وفتح الباب أمام كل القوى للمشاركة.

تثمين واشنطن لنتائج مباحثات الدوحة التي جرت يناير الماضي ثم احتضان موسكو لجولة المفاوضات الثانية تمهيدًا لجولة ثالثة نهاية الشهر الحاليّ في قطر، في ظل تعمد تهميش الحكومة، ربما يرسم بصورة أو بأخرى ملامح مستقبل الدولة الأفغانية، فهل تقدر طالبان على مواصلة نجاحاتها التفاوضية مع أمريكا وروسيا وبقية القوى السياسية الداخلية ومن ثم استعادة سيطرتها على الدولة الأفغانية مرة أخرى؟ هذا ما سيجيب عنه مرونة الحركة في التعاطي مع عدد من الملفات الخلافية فضلاً عما تقدمه من ضمانات لأطراف النزاع خلال المباحثات القادمة.

رابط المقال: https://www.noonpost.com/26492/